﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾

[آل عمران: 70]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين إضلال أهل الكتاب لغيرهم، وبين وَغْظِهم بالكفّ عن ضلالهم

الْتِفَاتٌ إِلَى خِطَابِ اليَهُودِ[1]، لَمَّا بَيَّنَ حَالَ الطَّائِفَةِ الّتِي لَا تَشْعُرُ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ مِنْ دَلَالَةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَيَّنَ أَيْضًا حَالَ الطَّائِفَةِ العَارِفَةِ بذلك من أحبارهم[2]، فقال لهم: ﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾من القرآن المنزل وَأَنْتُمْ تعلمون يقينًا أنّه حقٌّ منزلٌ من عند اللّه تعالى؛ لورود ذكر مجيء الرّسول ﷺ في كتابكم الّذي بلّغكم ذلك بصريح العبارة[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: الكتابُ: التَّوراةُ، وجعلَهم أهلَه بحسَبِ زَعْمِهِم ونَسبِهم، وإلَّا فأهلُه على الحقيقة هم المؤمنون[4]، أو سمَّاهم أهلَه؛ لنُزوله على النَّبيِّ الّذي هم مُتَّبعونه[5]، قوله: " ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني يا أهل التّوراة والإنجيل، وإنّما أضافهم إلى الكتاب.. على وجه التّعبير، يعني أنتم أهل الكتاب فلم لا تعملون بكتابكم؟؛ كقوله: يا عاقل لم لا تفعل كذا وكذا؟!، وإنّما تذكر العقل على معنى التّعيير أي إنّك لا تعمل عمل العقلاء"[6].

2) ﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي لقد كَفَرْتم بآيات اللّه وبيّناتِه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/279.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 8/255.
(3) ابن الخطيب، أوضح التّفاسير، ص: 68.
(4) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 1/480.
(5) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/387.
(6) وهذا شبيه في اللّوم والتّنبيه، بقوله تعالى: " ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ﴾ [المائدة: 19]، ينظر: السّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/380.

الّتي في التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ مِنْ وَصْفِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالإِيمَانِ بِهِ، كَمَا بَيَّنَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: 157]، وأنتم تَعلمون صِدقَها[1].

3) ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: يقال: "شَهِد له بكذا شَهادةً، أي أدَّى ما عنده من الشّهادة، فهو شاهِدٌ، والجمع شهد، مثل صاحب وصحب، وسافر وسفر، وبعضهم ينكره. وجمع الشّهد شهودا وأشهاد، والشّهيد: الشّاهد، والجمع الشُّهَداءُ. وأَشْهَدْتُهُ على كذا فَشَهِدَ عليه، أي صار شاهِداً عليه"[2]، ومعنى العبارة في الآية، أي: والحالُ أنّكم تَشهدون أنَّها آياتُ اللّه، أو بالقرآن، وأنتم تَشهدُون نَعْتَه في الكتابَيْن، أو تَعلمون بالمعجزات أنَّه حَقٌّ[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يا أهلَ التَّوراةِ والإنْجِيْلِ لِمَ تَجْحَدُونَ آياتِ اللّه الّتي أَنْزَلَها على رَسُلِهِ في كُتُبِهِمْ، وفيها أنَّ رسولَ اللّه ﷺ هو الرَّسُولُ المُنْتَظَرُ، وأنَّ مَا جاءَكُم به هو الحقُّ، وأنتم تَشهدُونَ بذَلكَ؟! ولكنَّكم تُنكرونَهُ[4]، وفي الآية إنكارٌ على كفر اليهود بآيات اللّه، وما فيها من براهين ودلالات قاطعة على نبوّة محمّد ﷺ ؛ خاصّة وأنّ كتبهم تشهد بصحّتها، وقد جاءت فيها البشارة ببعثته وصدقه، وبيّنت أوصافه، وهي أوصافٌ لا تنطبق على أحدٍ آخر غيره[5].

استنكار كفر أهل الكتاب بالآيات وهم يشهدون عظمتها

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلَالَةُ النِّدَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ﴾:

وَجَّه اللّه سبحانه وتعالى بهذه الآية النِّداءَ إلى أَهْلِ الكتاب

نداءُ الله تعالى لأهلِ الكتاب يتضمَّن توبيخًا لهم؛ لصدِّهم عن سبيل الله

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/206، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1270.
(2) الجوهريّ، الصّحاح: 2/494.
(3) أبو السُّعود، إرشادُ العقل السَّليم: 2/49، والبروسويّ، رُوح البيان: 2/49.
(4) نخبة من أساتذة التَّفسير، الميسَّر في التَّفسير: ص 58.
(5) أسعد حومد، أيسر التّفاسير: ص 364.

يدعوهم إلى الإيمان، مُبيِّنًا لهم في صيغةِ استفهامٍ إنكاريٍّ تَوبيخِيٍّ أنَّ دَواعيَ الإيمانِ قائمةٌ، ودَواعيَ الكُفرِ غيرُ ثابتةٍ، ولذا يُستفهَمُ عنها، إنكارًا وتوبيخًا، وابتدأهم بهذا النِّداء الكريم؛ إذ قال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، وفي هذا النِّداء إشارةٌ إلى أنَّ ما أُعْطَوْه كان يقتضي مسارعَتَهم إلى الإيمان، لَا أنْ يكفروا[1].

سَبَبُ تَخْصِيصِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِكَوْنِهِمْ أَهْلَ كِتَابٍ:

نِسْبَةُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِكُتُبِهِم احْتِجَاجٌ عَلَيْهِمْ بِهَا

جازَ أَنْ يُقالَ لليهود والنَّصارى: أهلُ الكتابِ، وهم لا يَعْمَلُون به، ولم يَجُزْ مثلُ ذلك في الوصف بـ (أَهلِ القُرآنِ)؛ والسَّببُ في ذلك أنَّ القُرآنَ اسمٌ خاصٌّ لِما أَنزل اللهُ على رسول الله ﷺ، فأمَّا الكِتابُ فيجوزُ أن يُذهَبَ به إلى معنى: يا أهلَ الكتابِ المُحرَّفِ عن جِهته!، وفي نسبتهم إلى الكتابِ احتجاجٌ عليهم بالكتاب لإقرارهم به، كأنَّه قيلَ: يا من يُقِرُّ بأنَّه مِن أهل الكتاب؛ لِمَ تكفرونَ بآياتِ اللهِ؟[2].

دَلَالَةُ الِاسْتِفْهَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ﴾:

شَنَاعَةُ كُفْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ مَعَ ظُهُورِ الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى بُطْلَانِهِ

في الاستفهامِ الواردِ في قوله تعالى: ﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إثارةٌ لنفوس المخاطَبينَ، وتوبيخٌ وإنكارٌ لهم؛ لأنَّه كَسُؤالِ التَّعجيزِ عن إقامة البرهان[3]، فالاستفهامُ جِيءَ به لإنكارِ الواقعِ الّذي وقَعَ منهم، وهو الكُفرُ مع قِيامِ أدلَّتِه، ولقد أكَّد اللهُ سبحانه وتعالى الاستنكارَ بقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ أي: وأنتم تَعلمُون صِدقَ الرَّسولِ عِلمًا يَقينيًّا كعِلمِ المُشاهدةِ والعِيان، بما أُخْبِرَ به في كتابكم[4].

بَلَاغَةُ الْحَذْفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾:

حُذِفَ متعلَّقَ الشَّهادة في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾؛ وهو المشهودُ به؛ لأنَّ الكلامَ كانَ تَوبيخًا، والتَّقديرُ: وأنتم تَشهدُون بما

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1270.
(2) الواحديّ، البسيط: 5/454.
(3) الواحديّ، البسيط: 5/454.
(4) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1270.

تَـنَـاقُـضُ أَهْـلِ الْكِتَابِ فِي قَضَايَا الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ

عليكم فيه الحُجَّةُ، فحُذِفَ ذلك إيجازًا، مع الاستغناء عنه بالتَّوبيخ، والحجَّةُ عليهم هي: إقرارُهُم بالبِشارة له ﷺ، ثُمَّ كفروا به، والإقرارُ بِمِثْلِ آياته للأنبياء، ثُمَّ كُفرُهم بما جاء به ﷺ وجحدُهم لَهُ؛ فكانَ ذلك مناقَضَةً منهم[1]؛ لأنَّه إذا قِيل أقرَّ فلانٌ؛ احتملَ أنَّه تكلَّم بما يَلزمُ منه الإقرارُ، فأزيلَ الاحتمالُ بكونه شاهدًا على نفسه، أي: أقرَّ إقرارًا يُشبه شهادةَ مَن يَشهدُ على غيره بإثبات البيِّنة[2].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الأَهْل والآل:

"الأَهْلُ: يكون من جِهَة النّسَب والاختصاص، فَمن جِهَة النَّسَب قَوْلُكَ: أهلُ الرَّجل؛ لِقَرَابَتِه الأَدْنَين، وَمن جِهَة الاخْتِصَاص قَوْلُكَ: أهلُ البَصْرَة، وَأهلُ العِلم، وأهلُ الكتاب، والآلُ: خَاصَّةُ الرَّجُل من جِهَة القَرابَة أو الصُّحْبَة، تَقولُ: آلُ الرَّجل لأَهله وَأَصْحَابه، وَلَا تَقولُ: آلُ البَصْرَة وَآلُ العِلم وآلُ الكتاب، وَقَالُوا: آلُ فِرْعَوْن أَتبَاع، وَكَذَلِكَ آلُ لوط"[3]، "فالآل ينْطَلق على ذَات الشَّيْء وَقد قيل ذَلِك في قَوْله (اللهمَّ صلّ على آل مُحَمَّد، وعَلى آل إِبْرَاهِيم)، وَيكون الْآل أهل بَيته الأدنين[4].

الكفْر والإلحاد:

أَنَّ الكفْرَ اسْمٌ يَقعُ على ضُروبٍ مِنَ الذُّنُوب؛ فَمِنْهَا الشِّركُ بِاللَّه، وَمِنْها جَحْدُ النُّبوَّة، وَمِنْهَا استحلالُ ما حَرَّمَ اللّه؛ وَهُوَ رَاجعٌ إِلَى جَحْدِ النُّبُوَّة وَغير ذَلِك مِمَّا يطولُ الكَلَام فِيه، وأصلُه التَّغطيةُ.

والإلحادُ: مَيْلٌ عن الحَقِّ في اعتقادٍ أو عملٍ؛ وأكثرُ إطلاقِه في الاعتقاد، وأصلُ الإلحاد: الميلُ، وَمِنْه سُمِّيَ اللَّحْدُ؛ لِأَنَّهُ يُحفرُ في جَانب القَبْر[5].

(1) الواحديّ، البسيط: 5/346.
(2) السّيوطيّ، نواهد الأبكار: 2/278، والطِّيبيّ، فُتُوح الغيب: 2/560.
(3) العسكريّ، الفُروق اللُّغويَّة، ص: 281، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 210.
(4) العسكريّ، الفُروق اللُّغويَّة، ص: 281، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 210.
(5) العسكريّ، الفُروق اللُّغويَّة، ص: 228.

الآية والعَلَامَة والدَّلَالَة:

أَنَّ الآيَةَ هِيَ العَلامَةُ الثَّابِتَةُ، من قَوْلكَ: تَأَيَّيْتُ بِالمَكانِ إِذا تَحبَّست بِهِ وَتثبّتّ، والدَّلَالَة على الشَّيْء: مَا يُمكنُ كلُّ نَاظر فيها أَن يسْتَدلَّ بها عليهِ، كالعالَم لمّا كَانَ دَلالَةً على الخَالِق كَانَ دَالًّا عليهِ لكلِّ مُستَدلٍّ بِهِ.وعلامةُ الشَّيْء: مَا يُعرفُ بِهِ المُعلَّمُ لَهُ، وَمنْ شَاركهُ في مَعْرفَتِه دون كلّ وَاحِدٍ، كالحَجَرِ تَجْعَلهُ عَلامَةً لدَفنٍ تَدفنُه، فَيكونُ دلَالَةً لَكَ دون غَيْرِكَ، وَلَا يُمكنُ غَيْرك أَنْ يسْتَدلّ بِهِ عليهِ، إِلَّا إِذا وافقتَه على ذَلِك؛ كالتَّصفيق تَجْعَلهُ عَلامَةً لمَجيءِ زيدٍ، فَلَا يكونُ ذلك دَلَالَةً إِلَّا لمَنْ يُوافقكَ عليهِ، ثمَّ يجوزُ أَن تُزيلَ عَلامَة الشَّيْءِ بينَك وَبَين صَاحبكَ، فَتَخرجُ مِنْ أَن تكونَ عَلامَةً لَهُ، وَلَا يَجوزُ أَن تَخرجَ الدّلَالَةُ على الشَّيْء مِنْ أَن تكونَ دَلَالَةً عليهِ، فالعَلامَةُ تكون بِالوَضْعِ، وَالدَّلَالَةُ بالاقْتضاء[1].

الشَّهادَة والعِلْم والإقرار:

أَنَّ الشَّهَادَة أخصُّ من العِلْم، وَالشَّاهِدُ نَقيضُ الغَائِبِ في المعنى، والشَّهادةُ عِلمٌ يَتناولُ المَوجُودَ، وَالعِلمُ يتَنَاوَل المَوجُودَ والمعدومَ[2]. والإِقْرارُ: هُوَ إِثْباتُ الشَّيْءِ بِاللِّسَانِ أَو بِالقَلْبِ أَو بهما، وإبقاءُ الأَمر على حاله، وَالإِقْرارُ بِالتَّوْحِيدِ وَمَا يجْرِي مجْراه لا يُغني بِاللِّسانِ مَا لم يُضامَّهُ الإِقْرَارُ بِالقَلْبِ، ويُضادَّه الإِنْكارُ[3].

(1) العسكريّ، الفُروق اللُّغويَّة، ص: 71.
(2) العسكريّ، الفُروق اللُّغويَّة، ص: 95 - 96.
(3) الكفوي، الكليَّات، ص: 160.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»